الحاجة أُمّ الاختراع ... بل أُمّ الانحراف ..!؟.

الشباب... مكوّن هـام وحيـوي مـن مكوّنـات المجتمع البشري ، فهم مصدر العطـاء والخصـوبة والتواصل الإنساني ، وهم عمـاد بنيـان الهيكليـة المجتمعية لأي بلد في الحاضر والمستقبل معاً ، وأيّ تهميش أو تغييب لدور الشباب يصبح المجتمع هرماً وعجـوزاً و يتهـاوى نحـو الانقـراض والتقـادم والاضمحلال .

ولما كانت لمثل هذه الفئة هكذا مكانة لا يُسـتهان بها من الفعالية ، فإنَّه من واجب الدولـة ، أن تهـتم بهذه الطاقات الهائلة التي من شأنها إن جرى إعدادها وتأمينها بشكل جيد ، أن تقودنـا بموفقيـة ونجـاح صوب مستقبلٍ أكثر أمناً ورخاءً وسعادة ، ولتحقيـق ذلك لا بد من البحث عن أفضل الطرق التي تكفـل تقويم وبناء أجيالنا القادمة على طريق التأسيس السليم ليومنا ولغدنا على حدٍّ سـواء ، فـالهمم والأدمغـة والسواعد الفتية لا يمكن الإستغناء عنها البتة في كل زمان ومكان .

وبما أن مسافة آلاف الأميال تبدأ بالميل الأول بل بالخطوة الأولى ، فإنَّ الإعداد والتربية والتهيئة تبـدأ من الأيام الأولى أي من أول يومٍ يولد فيه الطفـل و يوضع في الحاضنة لينمو ويترعرع إلى حين دخوله المدرسة ثم التحاقه بالجامعة ومن ثم الـدخول فـي معترك الحياة العملية كشاب تنتظـره العديـد مـن الأمور والحاجيات والمتطلبـات كالعمـل ،الـزواج ،المسكن ،الملبس ،المأكل والمشرب و..... الخ .

ورغم أنّ الجميع بات يدرك مـدى عظمـة هـذا الدور وهذه الأهمية لجيل الشباب ، إلاّ أنّ الجهـات المسؤولة في الدولة لا تبادر بجديـة للبحـث عـن المخارج الملائمة لمختلف مشاكلهم ، والتي تقع على عاتقها مهمة إبعاد الشـباب لا بـل إيجـاد الحلـول المناسبة للمشاكل التي تواجههم وذلـك مـن خـلال وضع خطط وبرامج كفيلة لإنقاذ هـذه الفئـة مـن مختلف أشكال البطالة والانحراف والعزلة ، ليس هذا فحسب بل احتوائها وفق أساليب تضمن لهم الوسائل والاستحقاقات التي تشجعهم على العطـاء والإبـداع معاً.

وهنا لا بد من الملاحظة على أنك عنـدما تبنـي شاباً أو شابة فكأنك تبني وطنـاً بأسـره ، مـاداموا يشكّلون العمود الفقري للمجتمع برمته ، وإذا كانـت هنالك ثمة قائمة طويلة لمشاكل الشباب بشكل عام ، **فإن البطالة كظاهرة مسـتفحلة ومنتشـرة بشـكل مخيف في بلدنا** ، تبقى تشكل الخطر الأكبر الـداهم للأجيال ، وهي بكل أسبابها وخلفياتهـا وتأثيراتهـا ومظاهرها ونتائجها السـلبية ، تشـكّل جملـة مـن التخوفات والهواجس والمجهولية ، فالشاب العاطـل عن العمل وخاصة عندما يجد أبواب الحياة موصـدة في وجهه من كل الجهات في ظل غياب أية فرصـة عمل يشق به طريق حياته وليُعيل بها أفراد أسرته ، يجد نفسه غائصاً في مستنقع معيشي مُقلق و حقيقي ، لذلك يبقى ضعيفاً وأكثر عرضةً لمختلـف المـآزق والصعوبات نتيجة بحثه الدائم عن أي مخرج لأزماته ، كونه يجد نفسه واقفاً في مفترق الطرق عاجزاً عن فعل أي شيء في كل دقيقة وساعة و يوم وليلة مـن حياته البائسة واليائسة في آن واحد .

وعندما نقول بأنه يصبح عرضة للمجهول فهـذا يعني أنه قد يتحول إلى مرتع خصب لغزوات مختلف الجهات اللصوصية والإجرامية واللاأخلاقية وحتـى الإرهابية ... التي تنخر علـى الـدوام فـي جسـد مجتمعنا الذي بات يعاني من ظروف معاشية رديئـة للغاية ، خاصة وأنّ النسبة الأكبر من المواطنين باتوا يعيشون بشكل مهين تحت خط الفقر ، ليتحول حينها ذلك الشاب إلى دمية أو ألعوبة منقادة من قبـل تلـك الأوساط التي تتربص به لتصطاده وتتـاجر بحياتـه ومستقبله وحتى بمماته ورحيله عن الدنيا .

فالبطالة إذاً هي أم المآزق بل الانهيارات ، كونها تقود أرتال بل آلاف الأفواج من العاطلين عن العمل إلى المزيد من الفقر والإفلاس بل إلى الهاوية بعينها ، **أما المسؤولية فهي تقع أولاً وأخيراً على عـاتق الدولة** إذ أن بمقـدورها لوحـدها وضـع الخطـط والبرامج اللازمة لتوفير فرص العمل والعيش اللائق لمواطنيها الذين لهم كامل الحق في العـيش اللائـق دونما أي تمييز أو تفرقـة فيمـا بيـنهم ، كـي لا يضطروا إلى سلوك الدروب والمتاهات السوداء التي قد يجدوا أنفسـهم فيهـا بنتيجـة الحاجـة والعَـوَزْ والمجبورية المعيشية ، وهذا أقل ما يمكن أن تقوم به الجهات المعنية في السلطة تجاه الشباب السـوريين الذين تنسّد أمامهم يوماً بعد آخر فرص وأساسـيات الحياة حتى البسيطة منها ، منعاً لاضـطرارهم إلـى الهجرة والتشتت في شتى بقاع ودول العالم بحثاً عن لقمة العيش التي باتت صعبة المنال لأولادهم الـذين يعانون من العازة والفاقة بغياب آبائهم البعيدين عنهم

ولما كانت الحاجة هي ليست أم الاختـراع فقـط وإنما أمٌ لكثير مـن الآفـات المجتمعيـة كـالهجرة والضياع والانحراف والتشظي ... الخ ، فهل نحـن بحاجة إلى مثل هكذا دهاليز مظلمة تحصـد رؤوس شبابنا وأعناق أولادهم وآمال زوجاتهم في آن واحد ، أم أن الواجب يُحَتّم علينا أن نسعى إلى إغلاق مثـل هذه الدروب القاتمة والمظلمة ، من خلال فتح أبواب العمل بشكل واسع أمام جيل الشباب الـذي سـيبقى ينتظر الحلول المناسبة لمشاكله الكثيـرة ، ويترقـب الفرج لحالته المعيشـيه الصـعبة لـيلاً و نهـاراً .